خواطر

ضبابية الهوى

مرمر محمد

ضبابية الهوى

مرمر محمد

الكتـــــــــــاب: ضبابية الهوى

تـــــــــــأليف: مرمر محمد

النوعيـــــــــــة: خواطر ونصوص

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

الإهـــداء 5
المقدمة 7
قلب الطفلة 8
حرب بلا راء 11
بداية الأحلام 14
الفريسة الثالثة عشر 17
الساقي الباغي 19
ضبابية الهوى 21
درب سام 24
مزدوج المشاعر 26
رميم الذكريات 28
استعارة قلب 31
حلم وواقع 33
هنيئًا لي فقد ربحت قلبي 35
الحب القديم 38
خلسة 39
العشق القاتل 40
لستُ مثالية 42
لِمَ لم ترحل؟ 43
قتيلة للهوى 47

دفق الحنين 53
عودة قلم 56
عاودني الحنين 58
انسيني 62
قلتُ أحبكَ 65
طائر الحب 69
حيرة أم غيرة؟ 72
أي حب؟ 73
من أنت؟ 75
لستُ بخيرًا 76
الوهم 79
خيط ومتر 80
قاطن أيسري 81
تائه فيه 82
إيقاع أسود 84
ديسمبري 85
إلى نقطة البداية 86

الإهـــداء

إلى من ظلَّ ينير القلب بكلماته الجميلة...

سقَينا حُبنا بالأمسِ، بالأشواق والنجوى

وصِرنا اليوم أشباحًا

بلا روحٍ

بلا مأوى

فليتَ الروحَ لا تسلو، وليت القلبَ لا يهوى

-لقائله-

من كتاب حين يجمعنا القدر

المقدمة

هناك في الأفق البعيد تلوح رآية بيضاء، تحلق حمامة بيضاء، تطير كذلك طائرة بيضاء. هناك في الأفق البعيد حيث لا يظهر إلا الأبيض، يبدو أنه غطى السماء مُلتهمًا ما بها من زرقة، لكن ما العيب فيه؟

أن يكون كل شيء بالأبيض

السماء، الجبال، الطيور وقلوب البشر؟

قلب الطفلة

خافقي لا يحتمل الشكوى!

قلبي كقلبِ طفلة صغيرة قيل لها: هاكِ الحلوى، تعالي يا حلوة.

ركضت فرحًا كي تأخذها، وحينما وصلت وجدتها اختفت أو ما هي إلا محض سراب، فبكت وانتحبت، صرخت صرخات كبرى؛ فمن ذا سيوقفها؟

لن تتوقف كلا، وكأنه كُسِرت في جوفها جرة، طال الحزن عليها كثيرًا، باتت تمقت وتتفادى بائعي الحلوى!

بهتت ملامح وجهها، هل جل هذا لأجل حلوى؟

ولكن ...

مرت أيام أخرى!

عاد البائع ذاته، بالهيئةِ ذاتها، وصاح مجددًا: هاكِ حلوى، تعالي يا حلوة.

لم تصمد، أو لم تتوقع عودته حتى، عادت بهجتها فهي مجردة طفلة، فرحت، ضحكت، راحت تركض وتنادي:

حلوى، حلوى!

ركضتْ إلى مكانه، وكما سابقتها ذهب واختفى من دون أن يسمعها كلمة.

لم تبكِ هذي المرة، صرخت صرخة تتلوها صرخة: عمي الكاذب، إياك أن تعاود هذي الكرةَ، لا تأتي إلى منطقتي وتنادي عليَّ يا حلوة

ولكن...

مرت أيام أخرى، جاء البائع يتبختر، يبتسم، ويحمل في يده حلوى. ظل ينادي، وينادي: حلوى، حلوى، تعالي يا حلوة!

وكما تفعل في كل مرة، راحتْ تركض، إلى أن اكتست ملامح وجهها دهشة، خوفًا، فرحًا، ملامح حقًا مختلفة، من بعدها وقفت، لم تتحرك، لم تنبس ببنت الشفة.

صاح البائع: أنتِ هناك، تعالي وخذيها، أو لا تحبين الحلوى؟

جال الصمت، إلى أن نطقت: عفوا عمي! لِمَ قد عدت؟ لِمَ قد جئت؟

الآن بتُّ أمقت تلك الحلوى، ولست تلك الطفلة الحلوة، الآن كبرت، فهمت، عرفت، وأنت بتلك العادة لم تتغير، تصرخ، تكذب وأنا من أركض نحو سراب لم ألحقه حتى، كنت تدلل قلبي وتؤذيه ببضع كلمات صغرى، تنادي علي: (حلوى، حلوى) وأنا لم أدرِ مما تصنعها!

أهي من قلبي؟

أم من فرحي؟

أو من ضحكاتي التي أبعثها عفوا؟

صمتت رفعت رأسها إلى أن صرختْ: عفوا عمي، الآن ما عدت أريد الحلوى !

حقًّا وأنا لا أحتمل الشكوى.

حرب بلا راء

من هنا ابتدرت الحكاية...

لكل نقطة بداية، والخامسُ عشر من أبريلِ قصة ورواية طال أمدها فلا بد لها من نهاية، تنفستْ شمسه مُشرقةً ومبهرة، أفرد الحمام بجناحيه وحلق عاليًا، غردتْ العصافير فرحةً بليلةِ أشبه بليلةِ القدرِ، كل منَّا خرج لممارسة حياته التي اعتادها بحثًا عن قوت يومه، حتى اختلطتْ مسامعهم بثلاث رصاصات مُتتالية، تبعتها خمس أخريات، ثُمَّ دوي مدفع...

ومن يومها ما عادت صباحات بلادي مُبهجةً كما السابق، تغريد الطيور، ضوضاء المدينة وصخب المَّارة وجميع أولئك الذين كانوا يضعون بصمتهم على البكور تلاشوا، فقد بات للرصاص دورًا فيها كما زقزقة العصافير تلك والتي أصبحتْ هي الأخرى على غير العادةِ ومع امتزاج أصوات الديوك ويكأنها مليئة بالنواحِ على روحِ الوطن، فمتى يا حرب آما كفاكِ؟

أي بابٍ ذاك الذي طرقتيه، بل وكيف ولجتْ حياتنا عنوة؛ لتثيري فيلمًا من الرعب، خطفتِ الضحكاتُ من أفئدةِ الصغار، وأدتِ أحلام الشباب، أفرطتِ في الأذى، ورجمتِ أمام أعيننا المعنى الحقيقي للحياةِ، أصفق لكِ ثناء فقد نجحتِ في تدمير كل شيء كان يسهل بنائه، فحقًّا آما كفاكِ؟

ثلاثمائة وخمس وستون يومًا ونيف لم تكن تُبصر أعيننا سوى جحافل من الغيومِ السوداءِ التي تغطى سماء بلادنا، رائحة الدماء، أشلاء الجثث، أصوات النداء.

أيا سامع ذاك النداء قل أين اللون الأبيض؟ أين لون الحمام، السحابات الهاربات من أمهاتهن ليُمطرنا حُبًا، أو حتى رآية ترفرف عاليًا مُعلنة حلول السلام؟

فإنَّا والله قد ضجت مشاعرنا، وما عدنا كما كُنا، ضاعت أحلامنا وتبعثرت بين الماضي والحاضر، وكيف لنا أن نرى المستقبل الذي بات مجهولًا.

اشتقنا إلى الضجيجِ والصخب، إلى سحر المساء، وصفاء السماء، اشتقنا إلى بيتٍ كان يأوينا، وجار لا يفارقنا، لكن هيهات فالحاضر يفرض ذاته أن نتأقلم عليه رغمًا عنا، والماضي ما زال يسطر على دفتر الحكايات الرواية، والمستقبب يفتح صفحات ليعلن لنا أنها الذكرى الأولى ولكن هل ستكون هناك المزيد من الذكريات المريرة؟

قلمي العزيز...

اعذرني لم أرد يومًا أن تكتب عن الحربِ، أود لك أن تكتب فقط عن السلام، إلا أنه وأيم الله قد طال، رغم ذلك ما يئسنا، رسمنا سلامنا بأيدينا حتى حلوله بإذن الله.

فيا حرب!

لكل بداية نهاية، تواضعي خجلًا لتسقطي حرفًا واحد فقط؛ ليأتي الحبُّ فيبذر كل ما طحنتيه.

2024/04/15م

ذكرى عام للحرب

بداية الأحلام

في حنايا كُل منّا ثْمة حكاية وربما الجُم من الحكايات، هناك ما يمكننا روايته والآخر يظل حبيسًا في سويداء قلوبنا، وحكايتنا يا عزيزي ليست مثلما تلك القصص، فريدة، عجيبة وكأنها أقرب للخيال من الحقيقة. ربما أكون قد حاولتُ عدة مرات أن أرويها للعالم، فهي لا يحق لها أن تكون حبيسة الدواخل، وأن أستثير ذكرياتنا لأسطر أحرف حكاياتكَ في كتابي، ولكن الفشل كان حليفي أحيانا.

كان عليَّ أن أمسك القلم، أن أكتب فكرة جديدة ربما، أو أحاول أن أصيغ فكرة أو منحنى أخرى لروايتنا تلك، لا أستطيع أن أقول لك عزيزي، فحتمًا لم تعد كذلك منذ وقت طويل وقد كان علي نسيانك. التشتتُ سيطر تمامًا على عقلي، وعزف عليه نوتة الضياع، وأنا ما عدتُ أدرك من أنا، الجميع لا يعلم كم كانت معاناتي قاسية وأن أصيغ فكرة جديدة غير التي عقلي مرهقة جدًا؛ لذا لا أعلم ماذا أفعل!

هذه المرة هيأتُ الأجواء، أحضرتُ قرطاسي وقلمي جلستُ القرفصاء علنيِّ أستعيد بعض من سلسلة ذكرياتنا القديمة. المطرُ، الغيمُ، الرياح الشمالية

والأغنيةُ التي تذكرني بعيدِ ميلادي خاصة حاولتُ أن أخط سطرًا عنك، ارتجلت فانكسر قلمي .

أيعقل؟!

الحنينُ في خافقي انطفأ، الحلم في خيالي غفا، والحرب لم تنجح إلا في أن تخلق سديمًا بدلًا عن فجوةٍ أعتقدت أنها السبيل لنسيانك، كما أني ظننتُ أن يوم لقاءنا هو ميلادي الآخر، غير أنك لم تفلح سوى في إشعال نيران الغضب في داخلي أيَّ كائن كنت؟ جعلتْ مني أنثى شيطانية لا تميل إلا للعدوان، أين هربت مني ملامح الطفولة والبراءة؟ أين تلك الروح التي لم تعلم معنى للشجن، ضاع مني كل ذلك رغمًا عن هذا لم استسلم في أن أجدني. يومٌ يمر وآخر يمضى على عجل وكلهم من حياتنا، وما فتئنا نعيش وطأة الخراب والدمار. فتبًا لرحى الحرب التي طالت الأمد، هذه العبثية اللعينة التي لم تَخمد نيرانها البتَّة، ولكن اشتعالها من جانبِ آخر لم يمنعني من الاستمرار في الحياةِ ـالحمدللهـ جعلتْ مني لاجئة في مكانٍ جديد، حياة جديدة، وروتين جديد رغمًا عن أنفي اعتدت عليه، غير أنني لم أتاقلم فيه، هي ليست الحياة التي أريدها أو أود البقاء عليها ولكن لا سعي في هذه

الحياة إلا بشيءٍ واحد ألا وهو (العلم) وأدرك تمامًا أن ما يجعلني أتقدم تركته خلفي، إذًا أظن أن التأقلم قد فرضَ ذاته عليَّ.

هل علي الاستسلام والمكوث أسيرة تلك اللحظات والأوقات أم التغيير و إيجاد طريقة أخرى لخلق هذا التغيير؟

كل شيء بيدِ الله، لذا سلمت أمري لله واستودعته نفسي وأهلي ومالي وجميع ما أنعم به علي.

الفريسة الثالثة عشر

إليك أكتبُ أيها الفارسُ الهمام، السيدُ المقدام، يا من بَعده جَفَّت الصحف ورُفعت الأقلام، أبعثُ لكَ من سويداءِ القلب السلام.

أمَّا بعد، أبثُ إليكَ من بَعد التحايا لوعتي، يا من يعلم أنْ لا ملاذ لي بعده، فمن ذا قد يُقَاسِمني ما يَكمن وراء الصدور بعدك؟ كنتَ بالأمسِ واقعًا واليومُ محض سلسلة من الذكريات أثقلتْ كاهلي ترودني أحيانا دون جهد يُذكر، ومرات أخرى ترآني أسترق الإحساس لها. اعتقدتُ أنك آخر اهتمامتي، آخر ما قد يشغل تفكيري، بيد أنكَ لم تكُ من اهتمامتي البتَّة، ووضعتكَ في معاقل النسيان، محوتك من دائرتي فلا أراكَ حقيقةً ولا في الأحلام.

أتدري عزيزي؟

ربما كل شيءٍ حدث صدفة، حتى لقاءنا كان استثنائيًا، فلا أنكر أنكَ خطفتَ ناظري منذ أول لقاء سُطر لنا _لم يكن قلبي_ فأنا أعلم الحبُ وهمُ مُخيف يحمل في طيآته الآهات، المضض والكثير الجُم من العبرات، نارٌ تحترق في حنايانا ومن فرط أذاه حتى تظن أنه سُمَّ قد يقودك إلى الفناءِ ببطء؛ لذا كنت أفر منك.

وأنْ أهرب خيرٌ لي من أن أدع لك المجال لسرقةِ عقلي، فكنت ذكيًا وسرقت ليس فكري فقط بل وقلبي، جسَّد لنا ذلك الحبُّ حكاية فاتنة الجمال، جعلت من الخيالِ حقيقة، ومن اللا شعور شعور.

في بادئ الأمر ترددت في سكب الوجد في فؤادكَ، بيد أني وقعت أسيرة بين يديك وسكبتُ، وسرعان ما اختفيت تاركًا إيايَّ والجة في معمعة الوحدة، علمتُ بعدها أني وقعت كما الأخريات فريسة أو ضحية اسميتها أنت الفريسة الثالثة عشر.

يئستُ فبكيتُ، لكني علمت أننا نُؤجر على الصبرِ فصبرتُ، أدركتُ أيضًا أننا سنخسر ما لم نتوقع يومًا فقدانه، نجزع عليه ونتجرع من كأسِ المضضِ أيامًا معدودة، نرتعش عند مرور ذكراه على مسمعنا، وفي لحظاتِ الوهن نتمنى له عودة، لكن سرعان ما نستجمع شتاتنا، قوتنا، ونمضي ناسيين ما كان، فهناك خسارات ما هي إلا كمكسبٍ لنا.

الساقي الباغي

الحياةُ معكَ يا عزيزي لم تك سوى سجنًا، لكن البقاء فيه معكَ كان خيارًا فاخترتك رغمًا عن كل سوء، فهل يختار المرء طريقًا وعرًا للمضي فيه دونما أن يدري من هو صديقه في هذه الرحلة؟

بغباءٍ سلمت مهجتي لكَ وأمِنتُكَ، رعيتني حُبًا، نَموتُ على عطفكَ، القمتني حنانًا وأزهرتُ عمرًا أمام ناظريكَ، ثم جورًا قصصتني؛ لتهديني خيبة بقائي معكَ.

أيا قاطعًا حبل الهوى من فؤادي عنوةً قل لي؟ كيف هان عليكَ خافقي وأنى لقلبك أن يكون غاشمًا عليه ولا يبالي؟ أسقيتني كأس الهوى بمذلةٍ وقطفتَ جزءًا مني لا ينثني دونما أن تعود لي!

أتدري؟

العيبُ عيبي، والقلبُ ملكي، الحبُ مني والبغض منك.

السكينةُ التي حلمتُ بها وأخبرتني أني سأجدها بين كفيك لم تكن سوى سكينًا وخزتني بها حين غفلة، جززت أحلامي ومن ثمَّ وئدتني، بتُ كنبتةٍ كُسرت مرآة حياتها أمام ناظريها وحرمت من رؤية أزهارها؛ كيف لا يكون ذلك إن كان ساقيها وراعيها باغٍ؟

ضبابية الهوى

كان الجميعُ صادقًا إلا إيَّاه، جعل نظراتي صغيرة في أعينِ أولئك الذين سخرتُ منهم يومًا وأنا على ثقةٍ أنه فقط الصادق وكل أولئك يكذبون على حبيباتهم، بيد أنَّ صدمتي به وذهولي عن تصرفاته كانا أكبر مما توقعت. كان بطلي هو المنافق فيهم، ذاقني من ضبابية الهوى أوهامًا، ولا منطق في الحب أحيانًا. كنت أهيم به جنونًا، شخصي المفضل، توأمي المثالي، شبيهي الذي لن أجد له شبيه، نصفي الذي لا أكتمل بدونه إلا أن ما بيننا لم يكُ حُب. هو لم يتقبلني كحبيبةٍ قط، كنت عنده فتاة كغيرها من الأخريات اللائي يملئن جميع أوقاته، فتى مثله لا يعرف ما هو الحبَّ لا أظنه يضيع من بين يديه الفرص ليتلذذ من فتاة لأخرى هكذا كان دائمًا، يتصيد الإناث أو الفرص وأحيانا كلاهما؛ فقد يجد مع فتاةٍ فرصتين وأكثر، وقد يجد عشرة فتيات بفرصةٍ واحدة، ماهرٌ لا يكل من ذلك. كنت أحسب أني أحبه لكني وأيم الله كنت أكذب على ذاتي دون أن أشعر، رسمتُ لنفسي بيتًا كان سيدًا فيه، أن نعيش معًا في عالمٍ يماثلنا، كأن يقول لي: أنتِ أناي الأخرى، شبيهتي التي بحثتُ عنها كثيرًا وأخيرًا انتصر قلبي بالعثور عليها، أتوجكِ ملكة على عرش نابضي فهل توافقيني أن تكوني نصفي الآخر وتوأم روحي الذي لا ينفصل

عني البتة، أخبريني هل توافقين؟ أكرر هذه الكلمات لنفسي على لسانه على أملٍ أن ينطق بها يومًا أو أن يلمح في أحاديثه أنه يبتغيني، ولكن فقط كنتُ أكذب! كنت أحب حبه لي وليس ذاته! وأظل كل يوم أبحث عن رسالةٍ منه، ليطمئني على حالي الذي بات مأسورًا في داخله رغم ذلك ما فتئت لوحدي أبحث عنه. حديثه لا يغادر ذاكرتي، كلماته حُبستْ في داخلي أو لي أن أقول أنها غرقتْ في أعماقي فلم تجد سبيل للخروجِ، وأنا كذلك غرقت فما عدتُ أرى غير صورته والتي لا أجد سبيل لتمزيقها خشية عليه من الأذية، رغم أذيته لي، لا أسمع سوى صنو صوته وكلماته الكاذبة التي ببراءة قد صدقتها، ولا تمر إلى أنفي رائحة إلا وتجدها عبرتْ إلا رائحته هي فقط التي استقرتْ، لتذكرني بحجم الخذلان التي تلقيته منه. الأذى الذي تلقيته منه كان كبيرًا، رغم ذلك لا أحمل في قلبي حقدًا عليه، كل ما أطلبه من نفسي هو النسيان أو التناسى، فكلما مَرَّت الذكريات بخاطري تنساب قطرات من مجرى مدمعي لكن ليست حنينًا له، إنَّما من لوعة الأحزان التي أعترتني بسببه، فكاذبي كان بارعًا جدًّا في اختيار الكلمات، يُحِيكها بمهارةٍ، ويرسلها أغنية عذبة على مسمعك فتقع في طُعم وِدَّه فريسة، دون أن ينوى الخير لمن هو أمامه، رغم ذلك سأغفر له حتى لا يكون بيننا لقاء مرة أخرى، ولا يُحارب

عصب الذكريات لدي، فيا ليته كان يعلم أن المطالب لا تحقق إلا إذا صدقتْ النوايا.

درب سام

لم يكن الأمر سهلًا ولا باليسير، أن كيف للمرء أن يطمئن بوجود شخص يُحبه يريد قربه ثم يخاف منه يريد بُعده في الوقت ذاته؟

يا له من شعور نقيض!

بل هو من أعظم المستحيلات!

عن الحبِّ فهو عالمٍ آخر فباحتواء مالك فؤادك لك ستشعر وكأن السماء غمرتك سكينة، وجادتْ عليكَ الأرض فانشقت وابتلعت كل أولئك الذين سببوا لك يومًا الأذى، وعن عالمكَ الذي ربما كان مظلمًا سيشع وميضًا وكأنَّ لم يزره قطُّ ديجور، ستكون ملكًا في ممكلة العشق، ذلك الإحساس مبهم، مختلف وجميل.

إذًا لِمَ تروادني مشاعر نقيضة في داخلي، هل تراني أسلك طريق مخالف عن الجميع فأضعتُهم، أم أني أمسك باليدِ الخاطئة؟

وهل أني أحببته، أم أحببت فكرة أن أكون له يومًا ما! فجميع ما أسمعه عن تلك القصص لا تماثل إلا جزءًا من قصتي، جزءٌ ضئيل جدًا، وجُل ذعري قد كان وقت اختفائه في وحدتي التي طغت عليَّ. لحظتذاك كنت لا أرى له أثرًا لا في ليالي ترحي، اكتئابي، وأيامي المظلمة، وحينما يطغو الجفاف قلبي

ويتشقق ليبصر نورًا في إحدى تلك البقاع إلا وآراه يَمُد بكلتا يديه لي، من أين بان لا أعلم، فقط يحاول أن يخطفني خطفًا ويضمني معتذرًا! حتى تروادني الشكوك هل تراه لا يتمنى رؤيتي سعيدة دونه؟ أم لا يتحمل فكرة أن يراني مع غيره؟

بئسًا!

لم أدرك أنه قد كان لاعبٌ ماهرًا فعلى الدورب السامة ولج بيِّ وعندما لفظتُ ذاتي منها بانَ وكأنه لم يهجرني، وكأنه كان حاضرًا وبقربي دائما! لأن وهني كان سيد اللحظات كنتُ أسامحه وأعود معه على الطريق ذاته، وأدري أن كل هذا خطئنا، رغم معرفتي مُسبقًا أن كل خطيئة نرتكبها معًا يجب علينا أن نتحمل وندفع ثمنها منصافة، إلا أني دائما كنت الوحيدة التي تدفع الثمن هنا، ألم أقل لكم في البداية لم يكن الأمر سهلًا حقًّا.

مزدوج المشاعر

أنتَ من تُبعدني عنكَ بإرادتكَ ومن ثم تُخبرني أني لا أصلح للحبِّ بحجة أني لا أملكَ من المشاعر ما تكفيكَ في حياتكَ، تُبدع في تهديدي بفكرةِ الزواج باثنتين أعلم أن ما يدور في خلدكَ ليس مقياسًا لمعرفةِ مدى غيرتي، إنمَّا لوجود الأميرة ـوأعرف أني لستُ وحدي في حياته!ـ أدري أني علمتُ بها مؤخرًا وأنت بجدارة خبأتها عني ولكن الأيامات لوحدها كشفتها لي، وأزالت ستار ما كنت تُخطط له من ورائي. أدري كذلك أنه كان بمقدروي الهرب بعيدًا تاركة إياكَ، ثلاثة أيام وسيختفي مضض بُعدكَ عن خافقي، بيد أني تعلقت بكَ، أصبتُ بحبكَ، وبغباءِ جازفتُ للمتابعةِ في قصةٍ لا نهاية لها، ولا علم لي ببدايتها.

هي تحبكَ وأنت كذلك، أنا أحبُّكَ ولكن ماذا عن مشاعركَ تجاهي؟

ألم تشعر قط بما يصيبني عندما تكرر لي دائمًا أنها ما زالت تسكن بقاع قلبكَ، وأنها استحوذت على ما فيكَ من عقل؟ أنها روحكَ وبيتكَ الأول، ومن ثم تأتي لمواساتي بتذكيركَ بعشقكَ لي، ولكن كيف ذلك؟

أيَّ رجل أنت؟

حقًّا كيف يستطيع لبَّ فؤادكَ أن يجمع بين امراتين في آن واحد، إمَّا أنكَ تحاول أن تملأ ذلك الفراغ الذي تُخلفه لك حبيبتكَ عندما تترك في دجى الأيام وحدكَ، أو تحاول مواساتي لأني وحيدة، أيحب أن يراني فقط وحيدة وما العيب في وحدتي؟! أعيش رغدًا، وفي هناءِ بعيدًا عن ترهات الحبِّ السام، أحارب مع نفسي لأجلها، وأعلم ما هي أهدافي في الحياةِ،

فالانسحاب مُبكرًا من تلك العلاقات السامة انتصار عظيم للنفس، ولا مجال للندم فيها، سأمضي تاركة إياك وستسعد أنت كذلك! الآن يمكنك الزواج بتلك الفتاة التي دائما ما حلمتَ بالزواج منها.

رميم الذكريات

-بات أمركَ لا يعنيني ـوجودكَ من غيابكَ سيانـ الآن لن تُكون عقبة لخافقي، كم جازفتُ لرضائكَ تاركةً ورائي جبالًا من الأولويات، فقط لأجل أن تنعم بالراحةٍ، ولم تفعل مثلما فعلتُ قط. خُضتُ معاركَ عدَّةً واحدة منها كانت مع جحفل النوم لكي لا ينهش الحزن أحلامكَ ليلًا، وأظل كُل ليلةٍ أنسجُ من شجن حكاياتكَ معطفًا يحميكَ مما يعتري فؤادك المكلوم. لستَ هشًا أو ضعيفًا ولكن الحياة أسقطتْ من يدكَ منسأة كُنت تتكأ عليها فخارت قواكَ، وصرتَ غير مستور من وابلات الذكريات المؤلمة.

-عزيزتي! أميرة قلعتي، لم أُرد يومًا أن أكون الفارس الذي أصاب بسيفه - قلب الحياة- ففنت في مقلتيكِ، كل ما جال في نيتي أن أهديكِ أجمل ما قد تبصره الأعين، لم أردْ لكِ المعاناة وخوض دروسٍ فيها ليست بحجمكِ، صدقيني لن تتحملي، كانت ستقتلكِ قبل أن أجعلها جثة أمامكِ، حمايتكِ كانت واجبي لأني أحبكِ وأخاف عليكِ، كنتِ وما زلتِ تلك الأنثى التي رُزقتْ بقلبٍ لين طيبٍ يفوق الثلج بياضًا يشبه ملامح الطفولة التي تُزين معالم وجهكِ.

إن خرتُ لم أسقط أرضًا لأنكِ كنتُ سندي الذي لم ترَه عيناي، ولم يبصره ما وراء صدري إلا حينما قررتِ اعتزالي بحجةٍ داحضةٍ أنيَّ أؤذيكِ.

-أعذاركَ سيدي لا ولن تُقبل، نويتَ ولكنكَ لم تعمل ـإنمَّا الأعمال بالنياتـ لم تنجح سوى في وأد الطفلة التي تقطنُ أعماق روحي على رمضاء ذكرياتكَ.

مرَّ الأمس، اليومُ، وغدًا، لم تتوقف الكرة الأرضية يومًا عن الدوران ولكن روح تلك الصغيرة لم تكبر! كنتُ أراها تعيش في عالم أكبر لا يشبهها البتَّة، وما فتئتْ تصرخ وتتجبر أنى كيف كبرتُ بسرعةٍ وبالأمس القريب كانت تنادى بلؤلوة البيت الأصغر؟

متى؟

كيف؟

ألن يتوقف الزمان هنيهة ليُفهمني ماذا طحا بيَّ، لِمَ تنكأ الحياة أحلامي وأكبرها أنتَ، خسرتكَ رغم أني لم أخطأ في حقكَ يومًا،

كل ما فعلته أني غفوتُ قليلًا لأراني هنا أقف أمامكَ، وأنت ساخرٌ مني ومن يدي التي مُدتَ إليكَ، ساخرٌ من كل ما قد كان بيننا؛ فكيف لي بالبقاء هنا أرمم خرابكَ؟

-قرارِكِ بالرحيل أشعل في خافقي لهيب المضض، ولن يستطيع أحدٌ غيركِ إطفائه، كنتِ الوحيدة التي حاكت لي من الفرحِ سترة وقتني من ضوضاء ذاتي، وبذرت في حنايا روحي سنابل من الأمل، والتي بسوءِ ظننتها يأسًا فقطفتها، رغم ذلك أضحت تنمو فأريتني بذلك معنى اسمها، مساوئي لم يقدر على تحملها شخص سواكِ وما فتئتُ ظالمًا لكِ، أنا بقعة سوداء في عالمكِ وكان خيار أن تجعلي مني قبسًا يضيء العالمين خاطئ، كنتُ وما زلتُ وسأظل ديجورًا أرتدي من التعاسةِ رداءً لي، وهذا فراق بيني وبينكِ.

استعارة قلب

لا تأخذ قلبي وتذهب هل أعدته إلي؟ الذكريات التي أعيشها معك سينتهي إحساسها قريبا ستكون بالية في قلبي، لن أشعر بها عندما أحاول العبث فيها، ستفنى في داخلي. حتما لا أريد أن يحتلني هذا الشعور، أريدك في اللحظات لا في الذكريات، أريد المكوث معك أينما مضيت وحللت، في الواقع لا في الأحلام، لكن هيهات لست لي ولست لك، منذ ذلك اليوم الذي طلبت فيه إنهاء تلك الحكاية أنا قد مضيت، منذ أن أغلقتَ الصفحات ووضعتَ نقطة النهاية رميتُ بقلمي ومضيت، فقط لأن هذه الكلمات قد خرجتْ من ثغركَ، قبلها كنتُ أصارع ذاتي في المضي دونكَ، دون ذكراكَ، وسوى أنكَ كنت عنيدًا وبارعًا، يومٌ قريب ويومًا غريبًا، كنتَ مبدعًا بالتحكم في نبضات خافقي، وكنت الشجاع في إنهاءِ تلك الحكاية دون تردد وأنا كنتُ الجبانة، حتى وقع فؤداي أسيرًا في قضبتكَ وقد طالبتك بتحريره مُسبقًا فهو ملكي، لم يفعل ثمة شيء يؤذيك سوى أنه أحبكَ وأرادك أن تكون له وحده، أما عن بقيةِ القصة فأنا المذنبة فيها، أنا من حاولتُ البحث في ماضيك، فعلتُ ذلك لأجل قلبي، فأنا لا أحتمل فكرة أن أراه مكسورًا يجر خيبته وحيدًا، حاولت درء المخاطر عنه لكنه لم يصدقني، ذهب معك وتركني بلا

قلب، وأفكر بلا رحمة لأستعيده! لذا قد تظن أني أرتكبت معك جرائم غير إنسانية لا يمكن لبشري ذو رحمة أن يفعلها، وكل ذلك كان لأجل نابضي، لو كنت بقلب لما فعلتُ ذلك، لكنت أكثر رحمة ورأفة بك، لكنتُ الأحن لقلبكَ، ولن يجدي التمنى، لذا أعد لي ما تبقى مني لأمضي.

حلم وواقع

اسْتلبَ مهجتي وهَجرَ، بِتُّ كأمٍ أهملتْ يد صغيرها لهنيئة ولم تجد سوى مكانه، خلتُ كالبلهاءِ أبحث دونما بوصلة أو دليل، حلّقتُ في سماوات الحبِ، وجُلتُ في أراضيه علّي أراه صدفةً غافيًا بين الغيمات، أو ملقيًا على قارعة الطرقات، لكن هيهات!

كمن يعيش في واقعٍ تمنّى لو كان مناما، أن يُفيق دون أن يجد له سبيلا، أيَا من كان يأخذني إليه فأجد السكينة والسلام بين يديه، هل لك أن تدلّني على السبيل للقياكَ؟

أخبرني كيف كان شكل الطريق الذى سلك كل منَّا فيه مسارا مُختلفا؟ رجوتُ أن يكون هجرانكَ الذي أرهق خيالي محضَ حلمٍ، ووقتما أدع المجال لجفنيٍّ أنْ يرفع الستار عن عيني فأجدكَ واقفًا أمامي، كطائرٍ مُهاجرٍ حطَّ في دياره بعد ترحال طويل ليجد الطمأنينة بين يديَّ.

كمن كان في حلمٍ تمنى لو أضحى حقيقة، كل يوم تراود خيالي ومنامي، وكأن تلك الطامَّة التي فرّقت بيننا اندثرتْ كما الشهب، تمنّيتُ أن تكون معي دائمًا هنا وعندما أبْصرُ الضوء أجدكَ مادًا لي ذراعيكَ وتدثّرني في حضنكَ ماسحًا عني كل همّي، يا من تخلّل إلى فؤادي عنوة، وبات متشبثًا به، أدري أنّ قلبك

قد قسا، وأنّ السنين ما عادتْ كما في الماضي، فلا المشاعر التي نحملها باتت كما هي، ولا الأيام، فأنت واقعٌ ليس كما في المنام.

في الليلة الماضية تسربتَ عنوة إلى أحلامي، كنتَ حاضرًا متربعًا أمامي، وبدأت تنادي على قلبي أنْ: تعال إليَّ فأنا ما زلتُ أسكنكَ، اعلمي ذلك!

حقًّا، مهلًا، من أعلمكَ بذلك؟

ومن أعطاك الحق لتحادثني؟

ألست أنت الذي فارقتني عنوة، لأجل هواكَ؟

ألست أنت الذي وعدتني أنك لن تخيّب ظني، وأقسمتَ لي أنك لن تترك دربنا، فكنت أول من ترك؟

إذًا إن كنت منامًا أو واقعا فأنت محض زائر غير مرحّب به!

هنيئًا لي فقد ربحت قلبي

عزيزتي أنا، تعلمي التجاوز، فأنا لم أخلق لأخسر، وكل ما فَقدته في حياتي، ليس مُقدرًا لي، لذا توقفتُ عن خلقِ الفرص من رحمِ العدم.

القصةُ أغلقت دفاترها وانتهتْ، يومًا ما وليس بعيدًا سيأتيني عوضِيٌّ من الله، سيبشرني بما لم يخطر على بالي حتى! وسيفتح لي محرابا جديدًا ومختلفًا.

يومًا ما سيعانق الحبُّ فؤادي كما أشتهى، ستشرق شمسي ساطعة وقلبي قويًا وكأنه جبلٌ من حديد، سأتجاوز الأمس ويكأنه ما كان، وقتها فقط سأدرك كم كنتُ غبية عندما قَزْمتُ نفسي وعملقت من لا يستحق في داخلي، عندما وهبته ما كان بوسعي منحه لذاتي ومن حتى دون اللجوء إليه.

ما يؤلمني دائما أني كنتُ أخبره أني أخترتُ شخصه وليس حُبّه رغمًا عن ذلك أذاقني مرارة الخذلان، أفلت بيداي في ديسقٍ لم أبصر بعده بريق سنا، وولى دون حتى أن يلتفت وراءه ليرى ما حلَّ بي، لن ألومه فلربمَّا مكانتي عنده كانت كأيِّ فتاة اختارها يومًا في حياته تعويضًا مؤقتًا ثم يعود لأميرتِه التي أختارها قلبه أولًا غير آبهٍ بما مضى، وكأن اختياره الفتيات عن دافعِ للتسليةِ ـالعابث الصغيرـ أمَّا عن حبه الذي كان مواربًا خلف قناع البراءة والفتنة

الجميلة، فلم يجعلني أشكُ أبدًا فيه زيفه، حيث أنه كان بمنتهى اللطف مراتٍ عدِّة، ونقضيها في بعض المرات، ليعود ويكتنفني بلطفه مجددا.

حاولت منحه مئات الفرص، لكن لم يقدرها، وضعت له أكثر من الألفِ عذر لكنه لم يهتم بهم، والآن لا أأسف عليه، بيد أني سأعترف أني تعلمتُ منه درسًا عظيمًا، وقاسيًا كأن لا أمنح الثقة أبدًا وحتى ولو راودني شعور أنَّ الشخص الذي يقف أمامي يستحقه؛ من يدري فقد يخون مثلما فعل هو، ولكن لا أعتقدُ أني سأبدأ بالشَّكِ بالجميع، حتى أعلم صدقهم، فقط سأترك الخيار لقلبي، وأعلم أنه سيجيد حتمًا الاختيار. وحده من كان يدرك مقدار ما عانيت لأجله، لأقدم له خافقي نابضًا بحبه، ذعرًا من الهجران المفاجئ والانكسار المؤلم، خوفًا عليه من الاعتياد، ومن ثَّم الأذية، ويا ليته كان يدري كم هو مؤلم ذلك الفقدان! أن تفقد جزءًا منكَ مُتصلًا بنياط القلب لا تدري ما هو وفي الوقت ذاته لا تتمنى له عودة لأنه سيزيد ألمكَ، تنوى اعتزاله ولكن ما تنويه سيطحنكِ أذيةٍ، رغمًا عن ذلك تُصر على ذلك القرار، ألا وهو الاستمرار في الاعتزال، الانكسار يزيد القلب قوة.

هيهات عزيزي كل ما علي قوله هنيئا لي بقلبي فلقد ربحته هذه المرة دون أيَّ خسائر، وكله أمله أن الله سيعوضه بالأجمل إن شاء الله.

الحب القديم

لا أعلم فكرة العودة إلى حبٍ بالٍ

وكيف لذلك القلب المتجمد أن يعود نابضًا من جديد؟

كيف للروح أن تُنير بعد الانطفاء من الشخص ذاته مرات عدة؟

من وجهة نظري إن غاب شخصي المفضل عني يومًا كاملًا دون عذر وعن قصد ثم أتبعها يومان وثلاث، إلى أسبوع قاصدًا بذلك عقاب أو ما شابه! ستسقط مكانته عن قلبي ولن يعود مفضلي أو غيره فإن كنت قد هنت إليه يومًا فقد هان إلي عمرًا كاملًا، وليهنأ بحياته بعيدًا عني، وليبحث عن ضحية تذلل له وترجوه وتطلب منه أن تعود إلى حياة بالية مؤذية!

خلسة

ها أنا ذا أسرق الإحساس لأكتب عنك، أغمض عيني، وأستمع إلى دقات قلبي لكنها عادية جدًا، أغوص في تلك العتمة علني أجد نورًا يقودني إلى أحد ذكرياتنا الجميلة ليهتز لها بدني ولم أجده. استمعتُ إلى كَمٍّ هائل من الألحان لكنها لم تحرك وجداني، ولم يبق لي خيارًا آخر سوى الرائحة، علمتُ أنها تلعب دورًا رئيسًا في عصب الذكريات، أحضرتُ جمة من العطور التي جسدت لنا ماضيًا لا يمكن نسيانه، لن أقول أني فشلتُ لا نجحتُ فيما أردت الحصول عليه، لكني فشلتُ في إنعاش قلبي، فقدتُ كل ما بحوزتي وما حملته من مشاعرٍ الحب التي جمعتنا.

للمرة الأولى أشعر بقوةٍ التمسك في اتخاذ قراري، أن أفلت بيدك وأمضي دونما التأثر بك، أن أتخلى عن فكرةِ إدمانك التي أرهقتني طوال تلك السنين.

العشق القاتل

للمرةِ الأولى أُبصر قصةً تُماثل قصتنا يا حبيبي، للمرةِ الأولى أرى نفسي بطلة في مسلسلٍ وأنت فيه بطلي وإن لم تكن واقعي فقد بتَّ خيالًا في الأحلام، والأفلام لا يفارقني، وأنا بدوري قد عشقتكَ مرتين في الحقيقةِ مرة وفي الخيال، رسمتكَ، لونتكَ في لوحةٍ زاهية وحدكَ فقط من كانت له أحقية المكوث فيها، ووحدكَ من أردته شريكًا في عالمي الخاص، أما عن الحقيقةِ فلا أعلم ما يخبئه لي القدر فيه من قصةٍ. استيقظُ كل صباحٍ وخافقي يفتقدكَ رغمًا عن مُعانته منك، ذاق الأسى والخذلان كثيرًا على يديك رغم ذلك بقيتُ معكَ، كنت أراك تُمسك السكين بيدك وتغزرها في أحشائي عمدًا بعدها تعتذر خجلًا من فعلتك وتضمدني بيديك، حينها لم يزدد قلبي إلا حُبًا لك. أجزم لك أن ذلك الشعور لم يكنْ كاذبًا أبدًا، فالفراغ الذي تُخلفه في داخلي عظيم، أحببتك رغمًا عني، لكن نسيانك سيكون بإرادتي بإذن الله، قصتنا هذه لا تحدثُ في الحقيقةِ أبدًا يا عزيزي فقط في الروايات والمسلسلات. قصتنا هذه يا سيدي لو لم أعشها لما كنتُ قد صدقتها وظننتها كأي رواية جاد بها كاتب ليذهل الجميع ويغوص معه في بحر الخيال، كنتُ لي كل كلي، أملي وأحلامي، أمنيتي التي دائما ما حلمتُ بها، ساحري وسحري الخاص

ليس مثلك أحد، يبتدر وينتهي يومي بكَ أو قُل جميع أيامي، بهجة روحي ونبض القلب!

سأخبرك سري، سأفصح لك عمَّا ما في قلبي، لن أتحدث عن الطيور وغيرها، لن أكتب عن أي شيء غيرك، أنت فقط من تُمثل قلمي، تحتل قلبي وتسيطر على كامل عقلي، فيراني الجميع بكَ قد جُننتْ، إلا أني في كامل قواي العقلية. أحيانا أحن لكَ، وأحيانا أخرى أتمنى أن تختفي المسافات بيننا ونجتمع في نقطة واحدة، وأحيانا أتمنى العودة إلى الماضي وانتقاء أجمل اللحظات التي جمعتنا والبقاء فيها معك، دائما ما حلمتُ بالهروب إلى المستقبل لأرى أين سنكون، و إلى أين سنصل ربما أكون قد تسرعتُ قليلًا فرأيتُ ما لا يعجبني وها نحن الآن منفصلين عن بعضنا تماما، كل منِّا يصارع للاستمرار بعيدًا عن الآخرِ حتى لا يأذيه، هل ترانا نستطيع؟ أجل ولِمَ لا؟!

الآن لا أفكر سوى في الحاضر فقط، وربما أحيانا أتمنى العودة إلى الماضي البعيد لأكون أول الحاضرين في قلبك فلا إحداهن تسكنه قبلي ولا أخرى تحتله من بعدي، أنا فقط من يحق لها أن تحتل فكرك وعقلك، أنا فقط.

لستُ مثالية

أراد مني أكون الدمية التي بلا فائدة، والضعيفة إلى الأبد، ربما تفاجئ بالقوة التي قد وصلت إليها، وبالتغيير الذي طرأ على شخصيتي إذ أنه أراد يُسالمني لن تمس يدي يداه كأي غريب، و إن تمازح معي كان علي أن أرده أن أقول له: "عفوًا هل بيننا سابق معرفةٍ حتى تمزح معي، ومن أعطاك الحق؟"

لستُ قاسية القلب، ولكن مشاعري تحجرت وكان السبب هو، ضميري لم يمت ولكن إنسايتي تجاه وتجاه من ما يشابه اندثرت، فكان علي أن أرد لكل صاع صاعين أو أكثر. أما عني ما زلتُ تلك الفراشة التي تُحلق دون كلل لتُعطي الحياة التي لا لون لها لون، ضاحكة رغم ظروف الحياة، أحمل في قلبي الأمل، الحسن والسوء. لم أتغير بتاتًا لأتناسب مع نظراتك، ما زلتُ تلك الناقصة، لست مثالية البتة لأرضي أحلامه وغروره.

وسأنجو رغمًا عنه، حتى و إن أردت أن تدفنني تحت أنقاض قلبي الممزق وأن تجعل مني شخصًا غير كافٍ، فأنا كافية لنفسي وسأبنيه من جديد ولو كلفني عمرًا كاملًا، لن يهزمني أي شعور أو قد يهز من ثقتي، سأنسى التضحيات وكل المسافات التي قطعتها لأجله، وليعلم أنا لا أستبدل لأني الأفضل.

لِمَ لم ترحل؟

أمكثتَ في قلبي لتؤذيه
وأردته عمدًا يتكسر؟
أو تأمل أن تفجع روحي
وتدعني ثكلى تتحسر؟!
ويحك يا أنت تريث
أتراني لحبك أتسول؟
لِمَ لا تبرح قلبي وذاكرتي؟
هيا أغرب عني وتوكل
ولماذا عمدًا تؤذيني
قد حان آوانك أن ترحل
قد عشتْ بروحي وكياني
ورشفتُ لك الحب الأمثل
فركبت جواد مخيلتيَّ
ومضيتُ بحلمي أتبختر
أأسير على ذات الخطوات

وأكون لك الذنب الأول؟
أم أغرس قلبي في قلبكَ
وتذيق الوجع فتترجل
أو أبقى صامدة وكفى
وأراقب بهدوءٍ أكثر
أخبرني إذًا
لِمَ لم ترحل؟
لن أبقى مجردة عاطفة
لتذرف دمعًا وتتحول
سأموت بغيظي مخلصةَ
لكنيَّ بقوتي أتصبر
حاولتُ رضاكَ مجازفة
وخسرتكَ قبل أن أخسر
ويئن الصخر على حالي
والألم
فقد صرتُ به أفضل

ونثرتُ ورودًا تَأْلفها

رشحتُ من العطر الصندل

فنشدتك في النظم قصائد

وخواطر وأكثرتُ من الشعر

سأبقى مثلما حالي

أراقب ريثما تخجل

جرفت سنيني مخدعةً

وحففت لكَ الحب الأول

أتراني صخرة أبدو

وقلبي مثلها يفعل؟

ودمعي في مآقي

يبت مني ويتسلل

قضيتُ كُل أوقاتي

أراجعُ خطكَ الأوحل

وما عاد يساورني

خوفٌ منكَ أن ترحل

خذ ما شئتْ من فرحي

كما تحب أن تفعل

وتهرب كل ثانية

وتسأل عننا تسأل؟

عذرًا قلبي أوجعني

هيا دعَّه وترجَّل

كفاني الويل عايشنيَ

صحب الليل والمأمل

تركتُ الزيف والملق

فتوكل حبنا وأرحل!

أخبرني إذًا لِمَ لا ترحل؟

قتيلة للهوى

أرْدانيَّ قتيلةَ الهوى
فهل حقًّا أني في هواه تهتُ؟
ما بين كفيَّ احتويته
نسيتُ قبلتي وقبيلتي
لأجله كلهم محوت
عانقته، دثرته
لململتُ شتاته، أحزانه
ويظنُ أنيَّ يوما سئمت؟
رضيتُ برصاصةِ غدره
ولكني بهجره ما رضيت
عرجت إلى سماواته
وجدته، حدثته
عاتبته، علَّه ينسى
جُل ما نسيتْ!

وبضحكةٍ ساخرةِ

أخبرني أنه انتهى أمري

وأني الآن قد خسرت

لا أبدًا قد خسئت

فأنا بحبكَ رزقت

عفوًا

كنت بحبك قد رزقتْ

لكنكَ أبدًا ما شفعتْ

وبكلماتك السَّامة لم يمر يومًا علي

إلا وترمي منها ما رميتْ

إذًا

لا أبدًا قد خسئتْ فأنا منك قد نجوتْ

كيف ابتدر حبنا؟

كان طفلُ صغيرًا

يحبو على راحتيه

ثم كَبُرَ ومعه كبرنا

من الصبا

إلى الكهولة إلى المشيبِ

إلى أسمى غايات المنى

كطائرٍ السناء

محلقًا وسط السماء

فيا ترى لِمْ قد ضاق صبركَ؟

وبي قد ضقتَ ذرعًا!

قل ليَّ بربِك ماذا فعلتْ؟

أو لمْ يكفيكَ قلبي

يكفيكَ حُبْي

يكفيني أنيَّ لأجلكَ قد صبرتُ؟

أو تؤمن أن هجراني

سيعيدني إلى دنيا الآمان

يهدهد مرقدي

وببعدك لن أعاني

لا وحقًّا قد أخطئت!

عانيتُ مثلما عانيتَ

في الدجى تخبطت

شوقًا إليك

لم تزل مقلتي تبكيك

حُبًا

كلما داهمها طيفكَ

طريقي من دونك كان معتمًا

حياتي لم يغازلها الفرح

غزاها الضنى والشجن

هل كنت هذا ما تود؟

فلمن أشكو؟

لمن أشكو إذا ما غبتَ عنيَّ

فأنتَ منيَّ

وكُليَّ لست بعضي

وأنا في كلا الحالين منكَ

فنبض قلبك لي

ومذ أن خُلِق

كان ينبض باسمي

لأنك منيَّ

وأنت ليَّ

وكليٍّ إليكَ

وأعلم أن صورتي لن تراود مقلتيكَ

وصوتي أبدًا لن يغازل أذنيكَ

أدري أنهما لن يصلا مهما حاولا إليك

وأنك جورًا من قلبك محوتني

فما ذنب روحي بالله عليك؟

دمرتني

هجرتني

نسيتني

في جب الخذلان

رميتني

لكن لا تظن أني سئمتُ

لا فقد خسئت

فما برح قلبي نابضًا

دفق الحنين

إلى أين يأخذني الحنين؟
هو لن يساور قلبه
يجتاحني في كل حين
وجع يخالج حبه
وأنا بدمعي والأنين
نسهر الليل الطويل
ونصوغ عطر الياسمين
نكتب اللحن الجميل
أو لن يعود
ليضمد الجرح الثقيل؟
ليضمني ويقول لي:
اعذريني يا فتاتي
اعذريني يا جميلة
الأمس ماضٍ
والوعد آتٍ

بكل أثواب الفضيلة

لاْ تخافي يا أميرة

لا تخافي

وتجيبني تلك السنين

بذلك الصوت الحزين!

هو لن يعود

هو قال لي:

هذا وداع بيننا فتقبلي

اليوم أنهي فريضتي

لا تذكريني حبيبتي

وتذكري

أن لن يساورني الحنين

أنا لن أعود مجددا

لن أُرجع العهد القديم

سأدگ كل بريدة

كتبتها في أي حين

هو قال لي: أنا لن أعود لقلبك

وأنا مضيت

وبخلفي تمضي خيبتي

وقطفة من ياسمين

وما زال يقتلني الحنين

رباه ما هذا الحنين

عودة قلم

عندما عدتُ لأكتب

بدا كُل شيء كالضبابِ

تهتُ بين أسراب الخيال

بين أروقة القراطيس

ما بين صفحات الكتاب

عن القصيد

عن النشيد

عن القصص والروايات

عاثت الأقلام فينا

لا تخط غير أحزان سرتْ

في أجسادنا

وجرت كما الدماء

فكُنا نتنفس الصعداء

كي نرتقى منها سحاب

فيصكُ القلم صريرًا

كي يكتب
ويفتح للسلام ألف باب
هكذا عدتُ لأكتب
دونما أي ذنب
أو شعور سيئ
ليعيدني خلف الضباب
أعود مجددًا
وأحتضن بين كفي الغياب
أودع الظلمات قهرًا
وأفتح للسلام ألف باب

عاودني الحنين

طال الفراق بنا عزيزي
أو لم يحين؟
لتحط في قلبي مودعًا
جُل الأسى والأنين
وترمم الشق الذي
كاد في قلبي أن يبين
وأنا التي أخفيته
فلم يخامره الحنين
بيد أنه لم يزل
ورغم طول تلك السنين
ينبض حبًا باسمكَ
حبٌ
اجتاز حب العاشقين
كيف لا؟
وهو قد كان الوتين

كيف لا؟

وقد فاح منه الياسمين

وينثر الاشواق حينا

في قلوب العابرين

ويحك!

ماذا عن القلبِ السجين؟

ماذا عن الحزنِ الدفين؟

طال الفراق بنا كثيرًا

أو لن تعيد؟

ذكرى تداعب خافقي

لينبض الحب الوليد

وتغازل الورد الهزيل

ويعود يزهر من جديد

وتضمني عند الأصيل

فتزهو لي الأيام عيد

أو لن تعود؟

لتعود إليَّ سعادتي

يا نبض قلبي والوريد

قد كنت قبلا غايتي

يا عذب لحني والنشيد

وحبي لكَ رآيتي

هل ينطق الحب المجيد؟

ونظمتُ فيكَ قصائدي

يا سيد الحرف والقصيد

عاد الحنينُ مغامرًا

ليغزو قلبي من جديد

ليطرق الباب الذي

رفض الخضوع وأن يحيد

ليبني بقلعتِي لكَ محجرًا

أم خامر القلب جليد؟

كيف لا وقد صددتني

لكم أنتَ يا هذا عنيد!

كيف لا وقد زجرتني
أم أنت حقًّا لا تريد؟
أن يعود حبنا مشرقًا
كبسمةِ الطفل السعيد
أن يعود حبنا نَيِّرًا
ونمحو الماضي التليد
بيد أنك لا تريد
أم أن وقتنا لم يحين؟!

انسيني

تاه قلبي في الخيال
في المجاز
في الحقيقة
باحثٌ عنكَ
هنا، هناك
فوق، تحت
وما من طريقة
للوصول إليك
أو بالاحرى لا وجود لك
في أي مكان
أين أنت، وأين اختفيت؟
بحثتُ وبحثتُ
دون أن أجدكَ
ثم وصلني مكتوب منكَ
بعنوان كبير:

إلى حبيبتي

ربما هذا ما تهيأ لي

تبعها عنوان بخطٍ عريضٍ

كلمة قد كانت هاجس

تقص المضاجع

-انسيني

أو تظن أني قد أنساكَ؟

ولِمَ لا!

لا شيء سيمنعني البتَّة

فلقد خلفَّت في قلبي فراغ

لم يملأه بُعْدَكَ حتى

لم تملؤه سوى الأنَّات

وارتسم الألم كوشمٍ

يقتات بقايا الآهات

يقتات سنين الزمن الغابر

ليحترق في قلبي كفتات

وتبقى روحي كرماد
لن تُبُسْمِها التُرهات
لن يجعلها قربكَ أقوى
ستفارق ماضي الآهات
أو ليس من حقي أنساكَ؟
أن أمضي
وكأنيَّ يومًا لم ألقاكَ
فكما قلت أن لا شيء
سيمنعني البتَّة
وسأعود إلى أولِ نُقطة
أين أنت، وأين اختفيت؟

قلتُ أحبكَ

قلتُ: أحبك

وليتني ما قلتها

يا ليتني ما بحتُ لك!

هذا الفؤاد قد احترق

من شوقِه

من بُعْدِكَ

من خبثكَ أو سوءكَ

ساعده عنك ليبتعد

****

قلبي أحبكَ وأنت لا..

لم تحبه ولم تبالِ

قلبي تتيم بك وابتلى

في فؤادِكَ فرُمتَ عالي

كوني لي كثيرًا قلتها

وكذا قلت لي تعالي

نلقى الوعود الكاذبة

أين هي ولم نبالِ

عشنا الفراق الأصعبَ

وأنت لم تذق مضض الليالي..

فقيرة باحت بسرها

وأنت الشحيح وصرت غالي

ذكرى اللقاء تلوح لي ويكأنها ابدرتْ من ثواني

صرنا أعجوبة وكذبة

بتنا تاريخ لأجيال

ماضي أنت وماضي راح

لن تعود ولن أوالي

لا تعود لأجلي لا

فقلبي صار لاٌ يجازي..

كل من قال مرحبًا ذات يوم وكان باقي

لا تعد أعيد فبتُ محض ذكرى عقيمة لا توالي

وسأقول لك: أيها الغريب...هيا ابتعد

عن قلعتي لا تقترب

خذ هداياك، عطاياك

فباب دارنا أبدًا لن يُفتح لك

نعم، كما قلت سورنا عالي

ليس غرورًا كما تظنه

لكن قل عنه حفاظ على النفس

إذًا...

عن الحديث توقف

لا تسرد لي بطولاتك

حكاياتك الأسطورية

مغامراتك، من أنا لأسمعك

وأيضًا كيف لي أن أثق بك

وأنا حتى لا أعرفك...

لا تحكي لي قصصًا خيالية

فحتمًا أني لن أصدقك...

نعم، عدت غريبًا مجددًا

ويا ليتني ما بحتُ لك

طائر الحب

شدا شدا طائر الحب

في فؤادِي وغفا

كروان حطَّ سهوا عليَّ

لا، بل فجأة أين اختفى؟

علقني في حبه سريعًا ثم

تركني في فضائه

تائهة!

وحيدة!

لا أرى أي ضوء..

كي أصل إلى النهايةِ

ومن أي بداية قد أتيتُ

هذه هي كل الحكاية..

العتمة..

وعرة الطرق..

الأكاذيب..

ذئب جائر نحوي انطلق ثم اختفى

عاد الطائر من جديد

بقناع غير الذي وقع

حلق

ثم حلق إلى سماء ليس لها حدود

هل انتهت الحكاية؟

لست أدري

دعنا نمضي معًا يا طائري

علَّنا نكتب لحن جديد

يخلو من حلو الأكاذيب

إن أنت رفضت

سيحل غيرك طائر نبيل

يمحو قصتك وكل ما كتبته

امضِ ودعني أفكر

كما أنت تفكر

دعني أقرر

إذا كنت ذا ما سيعزف حلو النشيد

شدا وغارد يشدو

طائر الحب ولكنه هذه المرة لم يغفُ.

حيرة أم غيرة؟

أحدهم يشعر بالفراغ العاطفي فيركض نحوي باحثًا عن الآمان في داخلي، يلهث من لوث.العالم علَّه ينجو من تلك المتاهة التي ولج بها، يحاول أن يلفظ ذاته إلى النور، ولا يجد تلك اليد التي تمتد له سواي، يغوص في بحر هائج، ستبتلعه دوامات الأوهام إن لم يخرج منها، وما إن أخرجه ويعود كما كان؛ ينسى حقًّا من أنا وكيف أتيت إليه، ربما قد يتهمني بالاقتراب منه عنوة لكي أأذيه ويكأنه يخاف مني، ربما لا يحتمل بريقي ووهجي فيعود في ظلماته مجددًا، يمر يومًا أو يومان حتى يصرخ مجددًا، طالبًا النجدة، ولا شيء غير النجدة من تلك الأوهام، وهذه المرة لا يخافني، لا يخاف ضوئي ووهجي يمد يده نحو أخرجه كما في المرة السابقة !..

وتجدد الحكاية وأظل أنا في حيرة من هذه الحال، هل أساعده أم أدعه مع الأوهام والأحزان.

أي حب؟

عن أي حب تتحدثين يا أمي؟

فأنا كبرت وأيقنتُ أن الحياة عقبات وتضحيات، كأن أضحي بحبٍ حقيقي كي يبقى معي شخصٌ لا يماثلني يضايق قلبي الصغير، ينسف حلمي مني .

أجل يا أمي، إنه يضايقني وأنتِ لا تعرفيني إن كان هذا يجدي أم لا؟

فلتعلمي أن ابنتك ستتأذي إن وافقت على هذا البلاء..وستعيش في رمضاء الزمن ستكون يومًا كأنه لم تكن.. تلك الإنسانة الحرة، ستظل تبكي ليلًا ونهارًا وأنتِ لن يعجبك أن ترين ابنتك من قلبها تنهار..

أماه إن الخير فيما كتبه الله، إن كان التضيحة التي قدمتها تجدي سيرسل الله لي أملي وسيكون مجدي، سيرسل ذاك الفارس الابدي.. سيكون حارسي وملاكي وسيكون حبي ووجدي.

أمي أنا ما برحتُ أنتظر وما أجمل الانتظار يُخالطه الصبر، وأثق أن الله يعلم ما في قلبي و إن أراد كن فيكن لكل أمر، أمرٌ طال بي انتظاره أملًا وما أجمل هذا الصبر..

أتدرين يا أمي أن ذلك الفتى الذي ظننتي إنه بطل ليس إلا وهمًا، أوهمك أنه بالشهامة قد رزق، يبحث عن فريسة له فقط، وحش يريد أن يتذوق كل طعم.

أو تدرين يا أمي أن ذلك الفارس المقدام قد دُفن أمام مُقلتا غاليتك، لم تعد تراه مقدامًا كما كان، بل صار وحشًا هجينًا هائجًا وغدارًا.. هجينٌ بين وحش و إنسان نصف وحش لا عقل له ونصف إنسان لا قلب له.. أجل وكما وصفت يستخدم عقله البشري مع قلبه الوحشي أو للوحوش قلوب؟! يستخدم طاقة العدم لإيحاء العدم عدم عقل، عدم فهم.. عدم قلب لا مشاعر فيه.

ليس هذا فقط يا أمي قد كان سكيرًا حقيرًا، كمن يهوى عشقيته على زوجته ولِمَ تزوج اسأليه؟ ويهوى أن يلاعب بنات حواء بكلامه المعسول المنمق، أريد أن أعرف لِمَ لم أصغِ له حينما كان يحادثني مثلهن هذا أن الله كان معي في كل حين.

من أنت؟

ما زلتْ تكذب ولا تبالي؟

من أنت حقًّا، أهكذا ستتساقط الأقنعة، يا ليتني لم أضع نفسي في هذا الاختبار وأمام هذا الاختيار، فبين ربوع تلك الكذبة ولجت وصَعُب علي الخروج منك الآن، أن كيف استطعت أن تفعل هذا فما بين شخصية هبلة تُصدق تلك الفكرة، وشخصية أخرى تود لو لم تكن هكذا سواء كان بالأذية أو نكران الذات.

أيها الكاذب مرحبًا

ولربما أني أيضا منافقة

لكني أردت فقط أردت شيئًا واحدًا

ولم أعرفه...

لكن...

لن تكون لي ولن أكون لك

أنت كذاب تخوص في الحكايات

وأنا بدوري أرسم سيناريوهات وأحيطها لتصير حقيقة دون أن يرد يبعد أعني شيء.

لستُ بخيرًا

لا تسألني عن حالي إن قرأت عنوان نصي ستعلم كيف هو، أجل لستُ كذلك.
أود البكاء طويلًا أو لا، لستُ بذلك الضعف لأبكي ـرغمًا أن لا عيب فيهـ
أشتهى الصراخ عاليًا ولربما لا، ما فتئ عقلي يعمل على إنتاجِ خلايا فِكرية مُذهلة؛ ما زلتُ أود فعل المُستحيل عند البعض ليُصبح مُمكنًا، ولكن ما زلتُ أشعر بوعكةٍ في قلبي، أ يعقل، ألخلل فيه؟
أم به؟
لستُ بخير و إن أردتُ أن أسرد ما في داخلي فلا صديق لي يسمعني، يطبطب عليِّ وينيرني للطريق.
حسنًا...
أحيانًا تجتاحني رغبة عارمة في البكاء، مِمَ؟
لستُ أدري!
ممن؟
لا أحد.
فقط أشتهي الانزواء بعيدًا والبكاء دونما أي سبب، تخنقني العبرة بين الفينة والأخرى، ويتوجس خافقي شيء من الرهبةِ، تدق النبضاتُ بلا هوادة.

الحنين؟

لا أشعر به!

الأنين؟

لا يمضنيَّ!

إذًا ما بي؟

داخل عقلي الكثير من الكلمات، والكثير من الأسئلة التي يبحث عن إجابة لها مثلًا عن الحب؟

وهم!

عن الصداقة؟

حظ!

عن الأخوة؟

حقيقة

قد يكون الأخ صديق، والصديق أخ، ولكن ليس كل من فتحت له بابك صار صديقًا لك فقط جاور من يشابهك، من يرسى عنده قلبك، وتبوء مقعده في سويداء ذلك الفؤاد.

أعلم أن الحزن للحمقى، و إن أردت أكون بخير فذا بيدي، أحطم تلك الجنازير التي تكبلني، أكسر السلاسل والقيود، وابحث عن نفسي في داخلي، أختطفها من زاوية العزلة التي اكتنفتها للبكاء، ورغم ذلك لم يطرق بابها دمع!

ألوذ بها من الأنين إلى الحنين، من الحزن إلى ركن السعادة، هو ليس أبديًا، لكنه مُسكن مؤقت وجميل.

الوهم

حسنًا في داخلي شيء غريب لا أدري ما هو، أهي غصة؟

أم نوبة حزن ابتلعتها دون قصد؟

أ هو القلق يأكل داخلي؟

أم مزيج من اللاشيء والشيء؛ ليكونا لي خيالٌ مُبهم!

الصراخُ حيلة قديمة نستخدمها لتفريغ تلك الطاقة الغريبة الممتلئة في دواخلنا، كان سابقًا يُجدي أما الآن فلا مجال له!

البكاءُ حيلة غبية ليست للضعفاءِ فقط ولكن علاما أذرف أدمعي؟

الهروب مما تُراني أفر؟

من ذاتي، عائلتي، أصدقائي، وكل الداعمين حولي؟

حتمًا الغريب لا يُواجه إلا بحيلة مُبتكرة وهي التجاهل!

والكثير الجمَّ من الاستغفار.

خيط ومتر

سيدي المسَّاح هل رأيتَ قلبًا مرَّ من هنا؟ لا تستغرب، أجل قلبٌ فَتِيٌّ؛ فهو مِلكٌ لي وقع أسيرًا بين مُقلتيٍّ ذاك الذي كان يحمل مترًا؛ ليقيس طول السيخ ولكنه قصد خافقي، لحظتها كان بحوذته خيطًا طويلًا كبله به، ولا تسألني أين كنت غائبة عنه؛ وقتئذ عيناي كانت على أربع سيخات مُكبلات بكانةٍ، شعرتُ بثمة شيء يَربطني مثلهن وهناك شيء ينقصني، بحثتُ عن ضالتي في الأرجاءِ فلم أجد صاحبُ المتر وقلبي، أنى لهما أن يذهب دونما وداعي؟ هلَّا دللتني سيدي أين ذهب الآسر والأسير لأعيدهما لمكانهما؟

قاطن أيسري

أيا حبيب يقطن فؤادي! أوما وصلكَ أنكَ سفينتي التي تُبحر فوق أوردتي؟ وأن قلبي مُرتبط بكَ حد الموت؛ فإن توقفتَ عن السريان في حناياي صار موتي مُحتمًا.

أيا عزيزي وايم الله حُبكَ ولج عنوة في دهاليز فأضحى دمي الذي يمدني بالحياة، لذا أعلم تمامًا أنه لن يمر علي ذلك اليوم الذي يجعلني أترك يديكَ؛ صدقني سأتمنى الفناء حينها فلا محيى للجسد دون الروح.

أيا حبيب هذا الأيسر الذي ينبضُ فرحًا بكَ أوما أعلمكَ أنك نوره الذي إذا أفل صار الردى مصيره؟

تأكد أن لن أدعكَ لطالما يربطنا الحب، تأكد وحسب.

تائه فيه

أيا أنت!

لا بل هو، أنا أنا، وأنا هو!

الحب سراب في بيداء الإحساس، والإحساس طفل نائم بين كفيَّ الحنين، الحنين كرة صوفية نُسجت من عمق الحروف، الحروف تتزاحم حول حلقي وتغصني، واقفة هنا تسألني عمَّن أنا؟

أو من هو؟

لا الوصف سيوفيني حقَّه لأعبر عنه، ولا الكلمات قد تحارب لتُلفظ من عنق زعيم مملكة الحبر لتكتب إليه أو له ولربما عنه، إلا أن سؤالًا واحدٌ سيراودني الآن؛ لمن يعود ضمير الهاء أيَّ من هو بطل القصة هنا؟

الطين اللازب يقف في المقدمةِ ليكون له حق الإجابة على اللاسؤال، يتجسد بهيئته كطائرِ العنقاء ـيحرق كل شيءٍ حتى نفسه ويتحول إلى رمادـ باحثًا عن الضوء الأخضر ولا وجود لضوءٍ في صحراءِ، أينبض القلب دون دماء؟

أو لكيف يشعر دون الحبَّ، أيتنفس المرء دون هواء؟

دع كل هذه الأسئلة جانبًا وأجبني يا أنا من هو، وكيف ولج في سراب أزليَّ ولا نهاية له؟

إيقاع أسود

الموسيقى ما زالت تتعالى تارة وتنخفض تارة، ضجيج ودخان، أنفاس خانقة تملأ الأجواء، الألوان تتطاير في السماء، وكأنها تَسحَبُ ذاتها من كل شيء، فبدت الأشياء بلا لون عدا الصوت، يسير العصفور على جناحيه، السمكةُ تقفز بين الأغصان الجافة، ما زال إيقاع الموسيقى بلونه الأسود يصدح دو ري مي، تنشق الأرض ليهرب النجم راكضًا بعد أن غادر مجرته للعيش بين البشر، ما فتئت الألحان فا صو لا سي وتعكس دورتها، فيأتي جحفل من الغيم باحثًا عن تلك الأنجم الهاربة ليعيدها إلى حيث السديم الذي كانت فيه، وتُفجر السماء براكينها. بداية جديدة سي لا صو، يضج الإيقاع، ترتفع أنفاس الحاضرين جميعهم، الظلال تلتف حول الجميع وكيف للظل أن يتكون دونما ضوء؟ فا مي ري دو رفع المايسترو عصاه عاليًا ليعلن بداية دورة العزف.

من جديد، لا شيء سيخفض ذلك الضجيج الآن! لا تغلق أذنك بل استمع إليها كما أفعل، فالصمت هو المايسترو الذي يعزف لحن الحديث!

ديسمبري

مرحبا ديسمبري

ها قد أتيتَ أخيراً بعد أن طالَ انتظاريِ لك كثيراً

فقد انتظرتُك أربعةَ وثلاثين وثلاثمائة يومًا، لتحلِ عليّ، «كيف حالُك؟ فقد اشتقتُ إليك حقًا»

كعادتك كُل عامٍ تأتي محملًا بالحبِ والعطاء، تظل شهري المميز دائمًا وسأظلُ أرددُ هذه العبارة كل عام؛ «أنا أحبك ديسمبر.»

فاسمك يُعُزفُ على كمنجاتِ العازفين، يكتب على صفحاتِ كِتاب الشعراء، يغني لك الفنانون كم هم يحبونك كما أحبك ولكني أحبك أكثر.

أحبك لأني فيك قد ولدتُ، لا أقول أني مميزة، ولكن لأنك شهر المميزين، فأنت لم تنجب إلا المميزين في حياتي فشكرًا لأنك جمعتني بهم.

أحبك لأنك ختام أحزانُ كل الشهور التى وَلتْ، فنبصر فيك كل الخير.

أحبك لأنك ختام عام وعلى عتبات نسماتك سيطل عام ،فعلّه عامُ سعادةِ.

ديسمبري تقف الكلمات على مقدمة جوفي رافضة أن تخرج لأنك أغلى من أن تكتب بل أنت حين تحل لا بد لي فقط أن يُشْعر بقدومك.

إلى نقطة البداية

في البداية جل ما ستفعله أن تراقبني من بعيد!

ويومٌ ما سيأخذك الفضول لتحادثني، ولكنكَ لن تتجرأ على الإقتراب، شيء فشيء سينكسر حاجز الخوف الذي بنيته في داخلك تجاهي وستقترب مني، سترسل لي طلب صداقة، وسَتهُم في قبولي له، لا تقلق سأقبل إن كان بيننا الكثير من الأصدقاء المشتركين ما يزيد عن الألفِ مثلًا!

بعدئذ ستضغط على رز إنشاء رسالة، ستكتب لي «صباح الخير أو مساءه لا يهم» وربما لن تكتب أيَّ منهما، فقد ترسل لي رسالتكَ في وضحِ النهار أن «نهاركِ سعيد» وسأقرأها بلا شك عند المساء أو صباح اليوم التالي؛ هذه ليست عادة ولكني أبحث في ملفاتكَ لأجمع معلومات عنكَ، بعدئذ سأرد على رسالتكَ حسب الوقت الذي يظهر لي في أعلى ستارة هاتفي، سأرحب بكَ أولًا بعد إلقائي لتحية الاسلام ثم عليكَ.

مرحى مرحى!

ستفرح قليلًا لأنك استطعت هدم جدران الخوف في داخلك، وليس لأنك قد راسلتني؛ فحتمًا أني لستُ ملاك.

بعد دقائق فقط_ليست يومًا أو يومين_ستظن أني شخصٌ لطيف، وترسم عني لوحة أنيقة في مخيلتك الخصبة؛ حتى أني إن رأيتها سأتفاجأ بها جدًا.

بعدها قد تجعلني أهم اهتمامتكَ، وستظل ترسل لي كُل يوم، وأنا لن أتكبر عليكَ فهذه ليست صفاتي، ولكن إن تأخرت في الردِ عنكَ يومًا، لِمَ ستعاتبني ويكأنك تعرفني منذ أمد بعيد، ليس لشهر أو أقل؟!

أو تعلم؟

لم يكُ قط خطأك، أنا من فتحتُ لكَ الباب، أنا التي أزلت لكَ الستار عن حقيقتي التي كنت تجهلها، ولكن فات الأوان، لتعيد تلك اللوحة الشفافة، التي رسمتها عني مجددًا و إلى سابق عهدها، لأعود ذلك الشخص اللطيف!

ولكن لِمَ لا نبدأ محادثاتنا من النهايات التعيسة والسيئة دائمًا، أجعلك ترى سيئاتي وجانبي السوداوي أولًا، ثم نعود إلى نقطةِ البداية

البدايات اللطيفة المذهلة، أليست دائما ما تكون جميلة، أخبرني ما رأيكَ؟

تم بحمد الله.